



ISTITUTO DEL VERBO INCARNATO

PROCURA



في 1 فبراير/ شباط 2017

خطاب توري 2017/7

أيها الآباء والإخوة والإكليريكيون الأعزّاء:

إنّ يومَ الثاني من فبراير/ شباط - وهو عيد تقديم الربّ إلى الهيكل - قد أسسه القديس يوحنا بولس الثاني كيومٍ ترفع فيه الكنيسة جمعاء الشكر لله على الحياة المُكرّسة، إذ أنّها تَرى في هذه الحياة «هبةً ثمينةً وضروريةً لأجل حاضر شعب الله ومستقبله، لأنّها تنتمي بشكلٍ حميم إلى حياة الكنيسة وإلى قداستها وإلى رسالتها»¹. وفي نفس هذا اليوم نحتفل نحن بـ«يوم الرّاهب في رهبة الكلمة المتجسّد».

لكم جميعاً - أيها الآباء والإخوة والإكليريكيون الأحباء -، أنتم الذين تعيشون بإخلاص التّزامكم أمام الله في جميع الأماكن، وتُعكسون طريقة حياة المسيح نفسها² بحياتكم الخاصة وبأعمالكم وبكلامكم، أودّ أن أبلّغ في هذا اليوم تحيّي ومشاغري القلبية.

ليصطبغ هذا الاحتفال بفرح مُميّز إذ «تُثَمِّنون الدّعوة» - بحسب توصية القديس ألفنس لِرُهبانِه - «لأنها الفائدة الكبرى التي كان يُمكن لله أن يَمَنَحنا إيّاها بعد فائدة الخلق والفداء». وهكذا تُعترف بها الكنيسة ذاتها حين تقول: «إنّ أشخاص المُكرّسين هم حقاً أحد الخيرات الأكثر ثمناً في الكنيسة»³.

ونحن، إذ نُعترف بِنِداءين في دَعوتنا: واحدٍ من الله وآخَر من الكنيسة، ونُعلن منذ الصّفاتح الأولى من دستورنا أنّنا «لأجل تمجيد الثالوث الكليّ القداسة، ومن أجل إظهار أوضوح للكلمة المتجسد، وإكرام الكنيسة التي أسسها المسيح والتي «تستمرّ في الكنيسة الكاثوليكية تحت إدارة خليفة بطرس والأساقفة الذين هم في شركة معه»⁴، نريد أن نَشهد أن العالم لا يُمكنه أن يتعبّر أو أن يُقدّم لله بدون روح التّطويبات»⁵.

ومن بين ما نُعبّر عنه بهذه الكلمات أنّ الحياة المُكرّسة ليست فقط جزءاً لا يتجزّأ من الكنيسة - بما أنّ موقعها هو في «قلب الكنيسة ذاته، كغُنصرٍ حاسمٍ لرسالتها»⁷ - بل أنّنا في الكنيسة تحديداً يُمكن أن نجد الوسيلة المناسبة لتسليم ذواتنا «لأجل خدمة الله والبشر بطريقة أكمل»⁸، فهكذا نتوق إلى بلوغ ملكوت السّموات يوماً ما ونحن واثقون في الرّحمة الإلهية. ولذلك

1 راجع «الحياة المُكرّسة»، 3؛ العمل المذكور «نورٌ للأمم»، 44 .

2 راجع دليل الحياة المُكرّسة، 22؛ العمل المذكور «الحياة المُكرّسة»، 32 .

3 دليل نور الابتداء، 144؛ العمل المذكور «المجمع الخبري لمؤسّسات الحياة المُكرّسة وجمعيات الحياة الرّسوليّة، السّير انطلاقاً من المسيح. التّزام مُتجدّد للحياة المُكرّسة في الألفيّة الثالثة»، 19 .

4 «نور للأمم» (Lumen Gentium)، 8 .

5 «نور للأمم» (Lumen Gentium)، 31 .

6 الدستور، 1 .

7 «الحياة المُكرّسة»، 3؛ العمل المذكور «الرسالة إلى الأمم» (Ad Gentes)، 18 .

8 الدستور، 6 .



نقول إننا «لا نريد أن نعرف أي شيء خارجاً عنها»⁹. فكما كان يقول الأب الروحي لعائلتنا الرهبانية الصغيرة، «إن افتراض القبول بوجود توازٍ بين الكنيسة وبين الحياة المكرّسة لهو عبارة عن العمل ضد طبيعتهما»¹⁰.

لاقتناعنا من أن الحياة الرهبانية «تدور كذلك حول المسيح كمركز»¹¹، نُضيف أيضاً أننا «نريد أن نركز على يسوع المسيح الذي جاء في الجسد»¹²، و فقط على المسيح، وعلى المسيح دائماً، والمسيح في كل شيء، والمسيح في الجميع، والمسيح بالكامل لأن الصخرة هي المسيح¹³، ولا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر¹⁴. نريد أن نحب وأن نخدم المسيح وأن نجعل الآخرين يُحبونه ويخدمونه: هو جسده وبروحه، وبنفس قدر المحبة والخدمة، سواء لجسده المادي في الإفخارستيا أم لجسده السري الذي هو الكنيسة»¹⁵.

كلّ هذا بحيث يتطابق حبنا وخدمتنا للمسيح يسوع مع حبنا وخدمتنا للكنيسة، إذ ليسا حُبّين بل واحداً. لهذا السبب بدا لي مناسباً أن علينا، بمناسبة هذا الاحتفال، أن نُفكر في الحياة الرهبانية ارتباطاً بحياة الكنيسة وبقداساتها وبرسالتها، بما أن حياتنا كلها تنتمي إليها.

1. الحياة الرهبانية في اتحادٍ حميم بالكنيسة.

جميعنا نعرف ونؤرّ، ونحن مُقتنعون من أن الكنيسة غير قابلة للانفصال عن المسيح.

في التدبير الإلهي، يستحيل وجود تَخَلٍّ عن الذات (kenosis) بدون ملء الكمال (pleroma). لذلك فإن خادم الله المُكرّم الأسقف فولتُن شين قد عبّر عن هذا الواقع بقلمه المُمتِع قائلاً: «إذا كان التَخَلّي عن الذات كان عبارة عن إفراغ المسيح لنفسه كذبيحة، فإن ملء كمال المسيح هو الكنيسة. [...] الكنيسة بدون المسيح مثل الكأس الفارغ؛ والمسيح بدون الكنيسة مثل خمير جيّد لا يمكن شربه لعدم وجود كأس. [...] كما أنه لا مسياً بدون إسرائيل، ولا ولادة للمسيح بدون الأمّ البتول، ولا مسيح بدون كنيسته، وكذلك لا ملء للمسيح خارجاً عن جسده السريّ ... فالكنيسة هي تشخيص للمسيح، مثلما المسيح هو تجسّد الله. هو العريس، والكنيسة عروسه»¹⁶.

نتيجةً لهذا، «هناك رابطٌ حميم بين المسيح والكنيسة والتبشير»¹⁷. وهذا ما يُعلّمه دليل روحانيتنا عندما يقول إن «الواقع المتدرّج والسريّ في ذات الوقت، المرئيّ والروحيّ معاً، الأرضيّ والسماويّ، القانونيّ والمواهبّي، البشريّ والإلهيّ - الذي هو الكنيسة - (يشابه)، بمقارنة عميقة، سرّ الكلمة المتجسد»¹⁸، حيث إن «المسيح نفسه مُجسّد في جسده الذي هو الكنيسة»¹⁹.²⁰ ودليلاً للحياة المكرّسة يُشير كذلك إلى الآتي: «أنّ الحبّ للمسيح الرّأس يشمّل الحبّ لجسده، أي الكنيسة،

9 دليل الروحانية، 244 .

10 القديس يوحنا بولس الثاني، «رسالة رسولية إلى الرهبان والزاهبات في أمريكا اللاتينية بمناسبة الذكرى المئوية الخامسة لتبشير العالم الجديد»، 29 يونيو/حزيران 1990 .

11 دليل الحياة المكرّسة، 34 .

12 1 يو 2/4 .

13 راجع 1 كور 4/10 .

14 1 كور 11/3 .

15 راجع الدستور، 7 .

16 رئيس الأساقفة المُكرّم فولتُن شين، «هؤلاء الكهنة الغامضون» (Those Mysterious Priests)، فصل 10.

17 راجع «إعلان الإنجيل» (Evangelii Nuntiandi)، 16 .

18 «نور للأمم» (Lumen Gentium)، 48 .

19 نفس المرجع.

20 دليل الروحانية، 244 .



الذي يُعرّف المسيح نفسه به سِرِّيًّا»²¹. لذلك فمنذ مرحلة الابتداء²²، قد تَمَّ فينا ترسيخُ «الحب للكنيسة ولزُعائِها المُكرَّسين»²³ على أنهما جُزْآن من نفس الواقع.

دُسُتورنا بِدوره يُعلن بكلِّ قوَّة نَبِّتِنا الواضحة بأن «نتخلَّى عن ذواتنا عند أقدام الكنيسة ... وأن نطيع حُبًّا في المسيح ... للذين وضعهم الروح القدس لقيادة كنيسة الله»²⁴؛ ونحن نُؤكِّد أن «خضوعنا للتدرُّج الرَّئاسيِّ الكنسيِّ وسامٌ شرفٍ لعائلتنا الرُّهبانيَّة»²⁵. هذا يعود إلى ما قاله الطُّوباويُّ بولس السادس أنه «لا يُمكن أن نُحبَّ المسيح دونَ الكنيسة، وأن نُصغي للمسيح ولا للكنيسة، وأن نبقى في المسيح لكنْ على هامش الكنيسة»²⁶.

ما أعظمَ البنيان و البركات التي تعمُرنا بها رؤية رُهباننا - في أماكن عديدة وعلى حساب تضحياتٍ عظيمة - مُمتلئين بهذا الروح، فيشهدون بتقديم ذواتهم بأنَّ الحبَّ للمسيح والحبَّ للكنيسة مُتطابقان! فماذا عدا هذا الحبَّ يجعلهم يذهبون إلى الرسالات باستعدادٍ قد يصل للاستشهاد، ويتحمَّلون درجات الحرارة القُصوى، ويتحمَّلون كلَّ فقر، وسط ظُلماتٍ وضيقاتٍ في النفس، ويعانون مرارًا من «تناقضات الصالحين» دون أيِّ سندٍ آخر سوى وعدِ الربِّ الذي قال: *كلُّما فعلتم شيئًا من ذلك لواحدٍ من إخواني هؤلاء الصغار فيبي قد فعلتموه (متى ٢٥/٤٠)، ولن يضيع أجر كأس ماءٍ باردٍ (مر ٩ / ٤١)، وهكذا يبنلون ذواتهم ويفنونها (راجع ٢ كور ١٢ / ١٥) لأجل خلاص الأُنفس، سواء في أماكن موحشة أو وسط لامبالاة المدن الكبيرة، أو في تلك الأماكن التي لم يُعد أحدٌ يريد أن يذهب إليها؟ إخلاصهم لحبِّ المسيح وكنيسته فقط هو الذي يُعطي الإجابة.*

إدَّا كما يقول *دليلنا للحياة المُكرَّسة*: «إنَّ التكريس بواسطة المشورات الإنجيلية و إبرازها يُمثِّلان > شهادة حبِّ من نوع خاص»²⁷. لأننا نعلم أننا بِحُبِّنا للكنيسة نُحبُّ المسيح عريسنا الذي هو بِدوره رأسُ الجسد. هذا هو دورنا الرائع والمُتميز: أن نُحبَّ المسيح العريس وجسده أيضًا. وهكذا، إذ تُحرِّكنا المحبَّة، «نحيا من أجل المسيح ومن أجل جسده الذي هو الكنيسة»²⁸.

لأجل هذا الحبِّ تُجاه المسيح وتُجاه جسده السِرِّيِّ نُكرِّس نحن «حياتنا الروحية لِصالح الكنيسة جمعاء»²⁹، ونُكرِّس أنفسنا «للعمل بقدر القوَّة وبحسب شكل الدعوة الخاصَّة، إمَّا بِالصلاة وإمَّا بِالخدمة الرسولية، لكي يستقر ملكوت المسيح ويترسَّخ في النفوس، ولأجل نشره في العالم بأسره»³⁰. وهكذا نشعر ونتصرَّف «معها دائمًا، وفقًا للتعاليم وللقواعد التي يَضَعها التعلُّيم الرسمي لبطرس - البابا - والرعاة الذين هم في شركةٍ معه»³¹، لأننا نعرِّف أننا مدعوون لأن نكونَ شهودًا للشركة الكنسية - أن نشعر مع الكنيسة (sentire cum Ecclesia) - من خلال «الالتصاق بالتعليم الرسمي للأساقفة بالذهن وبالقلب؛ ولأن نعيش تلك الشركة بإخلاص، ونشهد لها بوضوح، أمام شعب الله»³².

21 دليل الحياة المُكرَّسة، 255 .

22 راجع دليل نور الابتداء، 169 .

23 دليل نور الابتداء، 162؛ العمل المذكور، ق ح ك-CIC، ق 652، فقرة 2-1 .

24 راجع الدستور، 76 .

25 دليل الحياة المُكرَّسة، 26 .

26 نفس المرجع.

27 دليل الحياة المُكرَّسة، 23.

28 راجع دليل الحياة المُكرَّسة، 23؛ المرجع المذكور «عطية الفداء» (Redemptionis Donum)، 14.

29 دليل الحياة المُكرَّسة، 24.

30 راجع نفس المرجع.

31 دليل الحياة المُكرَّسة، 25.

32 راجع دليل الحياة المُكرَّسة، 25.



هذا كان منذ البدء روح رهبنتنا ولا يزال، فقد اتخذت دائماً معياراً ثابتاً لها: «نشعر الكنيسة والشعور مع الكنيسة» (Sentire Ecclesiam y sentire cum Ecclesia)³³. وقد فهمنا نحن الأمر هكذا منذ البداية – إذ لم يكن ممكناً أن يكون بطريقةٍ مختلفةٍ – ونحن على ثقةٍ أنّ الفاعلية الفاتكة للطبيعة الكامنة في نشاطنا الرسوليّ بأجمعه تعتمد على ذلك، كما ندرك أننا إنّ تصرّفنا بطريقةٍ مختلفةٍ نكون حينئذٍ «خائنين بشدّةٍ لموهبتنا»³⁴. كم تُعزينا رؤية هذا العدد من الأساقفة في كل أنحاء العالم، في القارات الخمسة، منذ بدايات رهبنتنا، يُقدرون هذا المظهر الذي لا يُنكر في روحانيتنا! كم يُحسنا أنّ أكثر من 250 أسقفٍ آخر في جميع أنحاء العالم يطلبون بإلحاح وجود كهنتنا!

علينا ألا ننسى إذاً أننا بإضافتنا «الحُبّ الكامل تُجاه الله إلى المحبّة الكاملة تُجاه القريب» – كما كان البابا بيوس الثاني عشر يقول – ينبغي أن نشعر دائماً بأننا «مُكرّسون بالكامل لاحتياجات الكنيسة ولجميع المُعوزين»³⁵، وهكذا تحديداً نجد أنفسنا مدفوعين نحو الرسالة. كل ذلك ينبغي أن يسبقه اجتهادنا لإعطاء تكوين كهنوتيّ سليم لكي «نبقى في شركة تامّة مع كنيسته في تدرّج سلطاتها، مما يعني: الإيمان الواحد والمحبّة الواحدة، وتحت قيادة واحدٍ فقط فوق الجميع، هو: بطرس»³⁶؛ مُصلين على الدوام لأجل الكنيسة بحرارة وثقان³⁷. من المؤكّد أن صلاة كهذه تُمثّل بالنسبة لنا مظهرًا غير ثانويّ، وبالتالي علينا أن نجتهد لكي يكون تكويننا في «حميمية عميقة مع الله»³⁸.

2. القداسة كَرَدٍ مِنَ الحُبِّ الواجب تُجاه المسيح وكنيسته.

بالإضافة إلى كون الحياة المُكرّسة عطيةً للكنيسة، فإنّ الرهبان «هُم الكنيسة»³⁹، وذلك ببساطة لأنهم مُعمّدون. ويُمكننا أن نقول ما هو أكثر من ذلك، إنّنا، نحن الرهبان، نُمثّل «بطريقةٍ ما روح الكنيسة بسبب نورنا الرهبانية المُرتبة بالكامل نحو المحبّة»⁴⁰.

إنّ ذلك يُبين لنا – بطريقةٍ مُميّزة جداً – أننا يجب أن نكون مُصمّمين بثباتٍ على الوصول إلى القداسة، خاصّةً بممارسة النذور الرهبانية بطريقةٍ تزداد عمقاً وفاعليةً يوماً بعد يوم؛ بكلّ أمانة لروح رهبنتنا؛ وأن نكون مُثابرين وعلى وعيٍ بأنّ «إنّ أمكن الوصول إلى القداسة، فهذا فقط لأنّها من صنع الله»⁴¹.

هكذا فقط نصير قديسين كما يُريدنا الله، بما أنّه هو الذي دعانا لِنخدمه في هذه الرهينة بالذات. وهكذا أيضاً ستصير الأجيال الآتية، بنعمة الله، إذا عرفنا نحن أن نُوصِل ما تَلَقَيْنَاهُ؛ حيث إنّ حياتنا الرهبانية «لا تولد من مشروع بشريّ، بل هي مُبادرةٌ من الله، وبالتالي فهي هبة من صلاح الربّ لأجل حياة الكنيسة ووقادستها»⁴². وبما أنّ «الشركة في الكنيسة لا تعني التماثل

³³ على الرغم من أنّ هذا المفهوم يظهر مرّات عديدة في قانوننا الخاص، إلا أنّني سأشير هنا إلى بعض المراجع التي يُمكن الرجوع إليها: الدستور، 1، 210، 211، 231، 265، 266، ... إلخ؛ دليل الروحانيّة، 227، 241-249، 256، 261، 263، ... إلخ؛ دليل الرسالات إلى الأمم، 159؛ دليل الرسالات الشّعبيّة، 12-13؛ دليل الحياة المُكرّسة، 260، 263-265، ... إلخ.

³⁴ دليل الروحانيّة، 245.

³⁵ راجع دليل الحياة المُكرّسة، 257؛ العمل المذكور، بيوس الثاني عشر، «عروس المسيح» (Sponsa Christi)، 37.

³⁶ الدستور، 210.

³⁷ بالنسبة لموضوع الصلّة لأجل الكنيسة، أقرّح عليكم بشدّة قراءة كتاب الأب كارلس بويلا، رهينة الكلمة المتجسّد، «كهنة إلى الأبد»، الجزء الأوّل، فصول 9، 10 و15.

³⁸ الدستور، 203.

³⁹ دليل الحياة المُكرّسة، 25.

⁴⁰ نفس المرجع.

⁴¹ راجع دليل الإكليريكيّات الصغرى، 35.

⁴² القديس يوحنا بولس الثاني، «إلى الأساقفة المُشتركين في مؤتمرٍ حول الحياة المُكرّسة»، 9 فبراير/ شباط 1990.



في الشكل»⁴³، فإنّ عائلتنا الرهبانية الصغيرة ستكون أكثر فائدةً للكنيسة ولرسالتها كلما زادت أمانتها لهويّتها⁴⁴، تلك الهويّة التي مُنحت لنا - مثل جميع عطايا الروح القدس - بهدف إعطاء ثمرٍ للربّ⁴⁵.

القديس ألفنس ماري دي ليّجري، في خطابٍ رائع يوم ٨ أغسطس/ آب ١٧٥٤، كان يوصي بالثبات على حرارة البداية لدى الرهبنة التي أسسها، كما كان يفضح نقص تلك الروح عند البعض، فقال: «أنا لا اعرف إلى أين سيصل هؤلاء، لأنّ الله دعانا إلى هذه الرهبنة ليصنع منا قديسين وليخلصنا كقديسين. مَنْ يُريد أن يُخلص نفسه في الرهبنة، ولكن لا كقديس، فأنا لست أعلم إن كان سيخلص»⁴⁶.

القديس منصور دي پول ذكّر هو أيضاً أعضاء رهبنته الأوائل بحقيقة الدعوة بالكلمات التالية: «إنّ الله هو الذي دعانا وهو الذي عيّننا منذ الأزل لنصير مُرسلين، ولم يجعلنا نُؤدّ مئة سنة من قبل ولا بعد مئة سنة، بل في زمن تأسيس هذا العمل بالتحديد؛ وبالتالي لا يجب علينا أن نبحث عن الراحة أو نتوقّعها - ولا الرضى ولا البركات - إلّا في الرسالة، حيث إنّ الله يريدنا هناك؛ على افتراض أنّ لا شكّ في أنّ دعوتنا جيّدة وليست مستندة على المصلحة ولا على الرغبة في تفادي متاعب الحياة، ولا على أي احترام بشريّ». ويكمل القديس: «إنّنا نحن المدعوّين الأوائل. يُقال إنّ البعض هم الأوائل في رهبنة ما حين يكون هؤلاء قد التحقوا بها في الفترة الأولى من تأسيسها، [...] هكذا إذاً، إن كُنّا نحن المدعوّين أوّلًا لكي نرُدّ الخراف الضالّة إلى الحظيرة، فماذا سيحدث إذاً إن هربنا؟ إلى أين نعتقد أنه يمكننا أن نلجأ؟ أين أذهب بعيدًا عن روجك وإلى أين أهرب من وجهك؟» (Quo ibo a spiritu tuo et quo a facie tua fugiam?)⁴⁷.

أيها الأحباء جميعًا، إنّنا باجتهادنا لنصير قديسين سنساهم في قداسة الكنيسة. إذ أنّ دعوتنا «ليس هدفها تقدّس الشخصي إطلاقًا. إنّما بالأحرى، كلّ تقدّس شخصي بطريقتهم حصريّة قد لا يكون حقيقيًا، لأنّ المسيح قد جمع بين القداسة والمحبة بشكلٍ حميم جدًّا. هكذا إذاً، أولئك الذين يسعون للتقدّس الشخصي، عليهم أن يقوموا بذلك في إطار الالتزام بالخدمة لأجل حياة الكنيسة وقيادتها. حتّى الحياة التأملية الخالصة ... تتضمّن هذا التوجّه الكنسي»⁴⁸.

على الرغم من أنّ أبناء الكنيسة كثيرًا ما يحزنون الروح القدس⁴⁹ خلال هذا الحجّ الأرضي، فإنّ الإيمان يُخبرنا أنّنا نحن الذين حُتمنا بالروح القدس ليوم الفداء⁵⁰، نستطيع - بالرغم من ضعفنا وخطايانا - أن نتقدّم على دروب القداسة حتى نهاية الطريق.

بهذا المفهوم، ما أعظم التشجيع الذي تمنحنا إيّاه كلمات القديس يوحنا بولس الثاني، وكم تُناسب الواقع الحاليّ لنا جميعًا: «يجب أن نشهد للحقيقة حتّى وإن كان الثمن اضطهادنا، أو إن كلفنا ذلك سفك الدّم، كما فعل المسيح نفسه [...] من المؤكّد أنّنا سنواجه صعوبات. هذا ليس غريبًا على الإطلاق. فهذا جزء لا يتجزأ من حياة الإيمان. أحيانًا تكون التجارب خفيفة، وأحيانًا أخرى تكون صعبة جدًّا، لا بل مأساويّة. وقد نشعر أنفسنا وحيدين في التجربة، ولكنّ النعمة الإلهية - نعمة الإيمان المنتصر - لا تتركنا أبدًا. من أجل ذلك نستطيع أن نرجو التعلّب والانتصار على أيّ تجربةٍ، مهما كانت صعوبتها»⁵¹.

43 «الحياة المُكرّسة» (Vita Consecrata)، ٤.

44 دليل الحياة المُكرّسة، 320: «إنّ النعمة الخاصة للمؤسس... (لهي) ذات خصوصيّة خاصّة في الكنيسة، وهي التي - بواسطته، في الروح القدس، تُمنح لعائلة رهبانيّة ما لأجل بُنيان الكنيسة وفقًا لطريقته الخاصّة في معيشة الحياة الرهبانية والعمل الرسوليّ».

45 راجع «الحياة المُكرّسة» (Vita Consecrata)، ٤.

46 «Sumarium»، ص 249-350؛ العمل المذكور في ربي مرميت (REY-MERMET)، «قديس عصر الأنوار»، منشورات BAC Maior، ص 529.

47 مُحاضرة يوم 29 أكتوبر/ تشرين الأول 1638.

48 دليل الحياة المُكرّسة، 33.

49 أف 30/4.

50 نفس المرجع.

51 «قوموا! لنذهب»، الجزء السادس.



3. الرسالة محفورة في قلب الحياة المكرسة نفسه⁵².

لأنَّ «من حبَّ الله لجميع البشر، استمدَّت الكنيسة، في كلِّ زمن، التزامها بالدَّفْعَة الإرسالية وكذلك قوَّة هذه الدفعة»⁵³؛ هكذا نحن، مدفوعين من حُبِّنا للكلمة المُتجسِّد، الذي أحبَّ الكنيسة وأسلم ذاته لأجلها⁵⁴، والذي لأجله هو نُكِرَس أنفسنا «بالنَّمام كما لِحُبِّنا الأعظم»⁵⁵، فَنَحْتَفِظُ وَلِنُنَمِّ وَلِنُطَلِّبَ إِلَى اللَّهِ دَائِمًا نِعْمَةَ الْحَرَارَةِ الرُّوحِيَّةِ وَفَرَحَ تَسْلِيمِ ذَوَاتِنَا دُونَ تَحْفِظِ لِرِسَالَتِنَا الْخَاصَّةِ فِي الْكَنِيسَةِ، أَلَا وَهِيَ تَبْشِيرُ الثَّقَافَاتِ، وَفَقًّا لِلرُّوحِ الَّذِي بَعَثَهُ الرُّوحُ الْقُدُسُ فِي مُؤَسَّسِ رَهْبِنَتِنَا، وَذَلِكَ حَتَّى عِنْدَمَا يَتَعَيَّنَ عَلَيْنَا أَنْ نَزْرَعَ بِالذَّمُوعِ⁵⁶.

مُهْمَةٌ التَّبْشِيرِ هَذِهِ، يُمَكِّنُ تَحْقِيقُهَا بِفَاعِلِيَّةٍ خَاصَّةٍ، فَقَطْ بِسَبَبِ قُوَّةِ جَمَاعَتِنَا الرُّهْبَانِيَّةِ⁵⁷، وَهَذِهِ الْقُوَّةُ تَكْمُنُ فِي وَحْدَتِهَا؛ دُونَ أَنْ نَنْسَى أَنْ: «الْحَقِيقَةُ، أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ، هِيَ الَّتِي تَبْنِي الْوَحْدَةَ»⁵⁸، كَمَا عَلَّمَنَا الْمَسِيحُ نَفْسَهُ عِنْدَمَا قَالَ: مَنْ لَيْسَ مَعِيَ فَهُوَ ضَيْبِي؛ وَمَنْ لَا يَجْمَعُ مَعِيَ فَهُوَ يُبَيِّدُ⁵⁹.

من أجل ذلك، تطلُّ الرَّغْبَةُ الْمُعْلَنَةُ فِي دَلِيلِ الرُّوحَانِيَّةِ صَالِحَةً لِلْغَايَةِ: «نحن نسعى بحسب كلمات القديس بولس لأنَّ تكون لنا نفسُ المشاعر في الرَّبِّ⁶⁰. ذلك الإجماع والتناغم اللذان نبحت عنهما يعنيان الوحدة في حُكْمِ الْعَقْلِ عَلَى مَا يَجِبُ أَنْ يَتَمَّ عَمَلُهُ، وَالْوَحْدَةُ فِي الْإِرَادَاتِ بِحَيْثُ نَرُغِبُ جَمِيعًا نَفْسَ الشَّيْءِ. نجد إذاً أن ذلك الاتفاق يَبْتَجُّ عَنِ إِيمَانٍ وَاحِدٍ، بِهِ نَعْرِفُ مَا يَجِبُ عَلَيْنَا عَمَلُهُ، وَعَنِ الْمَحَبَّةِ الَّتِي بِهَا نُحِبُّ جَمِيعًا نَفْسَ الْخَيْرَاتِ وَنَتَقَاسَمُ نَفْسَ الْمَشَقَّاتِ كَجُنُودٍ صَالِحِينَ لِلْمَسِيحِ يَسُوعَ»⁶¹. إنَّ رُؤْيَا التَّمَاسِكِ الدَّاخِلِيِّ الْمَتِينِ الَّذِي يَرِبُ بَيْنَ أَعْضَاءِ عَائِلَتِنَا الرُّهْبَانِيَّةِ لَهُو شَيْءٌ يُوَدِّي إِلَى الْبُنْيَانِ دَائِمًا، وَبِصِفَةِ خَاصَّةٍ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ؛ وَقَدْ كَانَ هَذَا أَحَدَ الثَّمَارِ الثَّمِينَةِ جَدًّا الَّتِي شَاهَدْنَاهَا فِي احْتِفَالِنَا بِآخِرِ اجْتِمَاعِ عَامٍ، كَمَا أَنَّهُ نِعْمَةٌ يُهْدِيهَا إِلَيْنَا الرُّوحُ الْقُدُسُ وَيَسِنِدُنَا بِهَا وَسَطَ الْعَدِيدِ مِنَ الصَّعَابِ. مِثْلُ هَذَا الْإِتِّحَادِ تُعْزِيهِ الْإِفْخَارِسْتِيَا وَتُسَنِّدُهُ الصَّلَاةُ الْمُنْصَرِّعَةُ الَّتِي تَطْلُبُهُ مِنَ السَّمَاءِ طَلْبًا لِعَطِيَّةٍ خَاصَّةٍ مِنَ اللَّهِ، بِشِفَاعَةِ الْعُذْرَاءِ فَائِقَةِ الْقِدَاسَةِ.

بهذا المعنى كان الطوبايوي «باولو مائًا» يُشَجِّعُ مُرْسَلِيهِ، وَهَذَا شَيْءٌ مُهِمٌّ جَدًّا بِالنَّسْبَةِ لَنَا الْيَوْمَ: «لِنَقْصِدْ إِذَا أَنْ نَعْمَلَ مُتَّجِدِينَ وَبِاتِّفَاقٍ تَامٍّ فِي الْمَكَانِ الَّذِي تُعَيِّنُهُ لَنَا الطَّاعَةُ. لَا يَجِبُ أَنْ نَنْسَى أَنْ رَهْبِنَتِنَا تُمَثِّلُ وَاحِدَةً مِنَ الْفُرُقِ الْأَكْثَرِ مَجْدًا فِي الْكَنِيسَةِ. وَعَلَيْنَا، كَجُنُودٍ يَنْتَمُونَ لِهَذَا الْجَيْشِ الْمُحْتَكِّ، أَنْ نَسِيرَ مُتَّجِدِينَ وَمُنْظَمِينَ جَيِّدًا مِثْلَ جَيْشٍ مُسْتَعِدٍّ لِلْمَعْرَكَةِ⁶². إِنْ لَمْ يَكُنْ لِدِينِنَا رُوحٌ – أَيُّ مَفْهُومٍ * – الْجَسَدِ، إِنْ أَرَادَ كُلُّ وَاحِدٍ أَنْ يَعْمَلَ عَلَى هَوَاهُ، إِنْ لَمْ نَكُنْ طَائِعِينَ لِلْغَايَةِ لِأَوَامِرِ قُودَانِنَا، وَإِنْ تَفَرَّقْنَا، فَإِنَّا نَسْتَصِيرُ ضُعْفَاءً وَنَحْصَلُ عَلَى هَزَائِمٍ بَدَلًا مِنَ الْإِنْتِصَارَاتِ. إِنَّ الدَّعَوَاتِ الْمَفْقُودَةَ فِي جَمِيعِ الرُّهْبَانَاتِ بِسَبَبِ نَقْصِ رُوحِ الطَّاعَةِ وَنَقْصِ الْإِتِّحَادِ الْأَخْوِيِّ تُمَثِّلُ دَلِيلًا مُحْزِنًا عَلَى ذَلِكَ: إِنَّ قَلْبَهُمْ مُنْقَسِمٌ، فَالآنَ يَمُوتُونَ⁶³؛ هَلْ سَنُظَلُّ مُتَّجِدِينَ؟ إِذَا سَنَخْلِصُ نَفُوسًا وَسُنْبِنِي الْكَنِيسَةَ وَسَنَنْتَصِرُ دَائِمًا. [لأنَّ] الْأَخَ الَّذِي يُسَاعِدُ مِنْ آخِرٍ يَكُونُ كَمَدِينَةٍ مُحَصَّنَةٍ⁶⁴»⁶⁵.

52 دليل الحياة المُكْرَسَةِ، 266.

53 دليل الرسالات إلى الأمم، 11؛ العمل المذكور، ت ك ك – CIC، 851.

54 أف 25/5.

55 دليل الحياة المُكْرَسَةِ، 22.

56 دليل الرسالات إلى الأمم، 144.

57 راجع دليل الحياة المُكْرَسَةِ، 266.

58 دليل الرُّوحَانِيَّةِ، 59.

59 متى 30/12.

60 راجع 2 كور 11/13؛ فل 2/4.

61 دليل الرُّوحَانِيَّةِ، 248.

62 راجع 2 مك 20/15.

* من المترجم.

63 هو 2/10.

64 أم 19/18.

65 «الفضائل الرسولية، رسالة دورية رقم 8»، ميلانو، 15 سبتمبر/ أيلول 1927.



أيها الأعزّاء جميعاً: إنّ الشركة الأخوية – المفهومة جيداً وبعُمقٍ – هي بالفعل عملٌ رسوليٌّ: هذا يعني أنّه «يساهم بطريقة مباشرة في التبشير»⁶⁶. بل أكثر من ذلك، «تعتمد خصوبة الحياة الرهبانية كلها على نوعية الحياة الأخوية المشتركة»⁶⁷. الحال هكذا لأنّ الكلمة المتجسّد نفسه قد دعانا إلى أن نحيا مُتّحدين لكي يورَمَ العالم⁶⁸. لا يجب أن يبدو لنا هذا المظهر ثانوياً أو عَرَضياً، إذ أنّنا «إن لم يكن لدينا جماعات جيّدة فلن نستطيع أن نُتَمِّمَ أيّ شيءٍ ذي أهميّة»⁶⁹.

«ما أكثر المرّات التي فشلت فيها الأعمال بسبب اختلاف المرسلين في الرأي... كم من الرسائل تُدَمَّر لهذا السبب! لا يحدُثُ ذلك في رهبنتنا الصّغيرة، حيث عددنا قليلاً جداً ليعمل يكاد يكون نهائياً! لِنُضَحِّ بِأَيِّ شيءٍ في سبيل الحفاظ على الوحدة والاتّفاق؛ فِلْنُضَحِّ بِصِفَةِ خاصّة بكبرياءنا وبوجهات نظرنا وبأسباب راحتنا»⁷⁰ لا يجب أن نتبع أبداً مَنْ يَخْلُقون الانقسام، ويُفَرِّقون وقد يصلون كذلك إلى التأمّر لكسر هذه الوحدة الثمينة.

«لهذا السبب هناك أهمية ذات أولويّة لأن يُنمّي الذين يستعدّون للرسالة حبّهم للجماعة التي يعيشون فيها، دون إقصاء لأحد، وخصوصاً لِذوي الطّباع الصّعبة»⁷¹.

في النهاية، في هذا العيد للكنيسة الجَمعاء – عيد الرّاهب – وبصفة خاصّة بالنسبة لنا عيد راهب الكلمة المتجسّد، لنكُن أكثر اتّحاداً به هو وأكثر تشبُّعاً من روحه، ولتكن نفوسنا مُمتلئة بنفس مشاعر قلبه الأقدس. بطريقة تجعلنا رهباناً «يُروون روحهم من كلمة الله، ويكونون خدومين للقريب، ومتضامنين مع كلّ محتاج، وداعين إلى تنمية دور العِلْمانيين، ولديهم قدرة كبيرة على الحوار؛ كهنة بدون أزمة هوية، راغبين في التكوين المستمر، تاركين أنفسهم بين يدي العناية الإلهية، ومُحبّين لليتورجيا الكاثوليكية، كارزين لا يكلّون، لديهم الروح بوفرة، ولديهم لسان وشفاه وحكمة لا يقدر أن يقاومها أعداء الحقيقة»⁷²، وفيري الخصوبة في العمل الرسولي وفي الدعوة، وذوي اندفاع إرسالي ومسكوني جامع، ومنفتحين لكل ذرّة حقيقة أينما وُجِدَتْ، وذوي محبة تعطي الأفضلية للفقراء، بدون نزعة حصريّة وبدون إبعاد أحد؛ كهنة يعيشون فرحاً صافياً ومُعدياً للآخرين، ولديهم سلام لا يتزعزع حتى في أكثر الصراعات شراسةً، يعيشون في شركة كنسيّة مطلّقة وبدون تحفّظات، كارزين ومبشّرين لا يكلّون، ومُحبّين للصليب»⁷³.

علينا في هذا اليوم، الثاني من فبراير/ شباط، أن نُقدِّم القدّاس الإلهي طالبين من مريم فائقة القداسة، أمّ كلّ مُكرّس ومثاليه، أن تمنحنا نعمة أن «نعيش بجودة عالية حياتنا الرهبانية، بحسب موهبتنا، وبالتالي أن نحيا سراً المسيح الفريد من جديد، وأن نشهد له، بصفة خاصّة في مظاهر تخليّيه عن ذاته وفي مظاهر تجلّيه»⁷⁴. وإذ نشكر الله على هبة الدعوة العظيمة وعلى الحياة المُكرّسة، لنذهب إلى أي مكانٍ مُشغّعين المحبّة والفرح النابغين من كوّننا قد دُعينا إلى أن نُحبّ المسيح ونخدمه داخل كنيسته المقدّسة.

ليكن يوم راهب الكلمة المتجسّد سعيداً عليكم!

الأب جوستافو نيبتيو، رهبنة الكلمة المتجسّد
الرئيس العام

⁶⁶ دليل الحياة الأخويّة ، 21.

⁶⁷ دليل الحياة الأخويّة ، 22.

⁶⁸ يو 21/17.

⁶⁹ دليل الرسائل إلى الأمم، 122.

⁷⁰ الطوبايوي باولو مانّا، «الفضائل الرسوليّة، رسالة دورية رقم 13»، ميلانو، سبتمبر/ أيلول 1930.

⁷¹ دليل الرسائل إلى الأمم، 120.

⁷² القديس لويس ماري جرينيون دي مونفور، «صلاة مشتعلة» (Oración abrasada)، رقم 22.

⁷³ دستور، 231.

⁷⁴ دليل الحياة المُكرّسة، 2؛ العمل المذكور، راجع «الحياة المُكرّسة» (Vita Consecrata)، 93.